﴿وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ٤٢﴾ [يس: 42]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ربطُ آيةِ حَمْلِ النّاسِ في الفُلكِ المشحونِ بالوسائلِ الّتي عليها يركبون

لمّا كانت آيةُ حملِ النّاسِ لم تنقطِعْ بل عَمَّ سبحانه بنفعِها قال تعالى: ﴿وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ﴾[1]، وأيضًا لمّا ذكرَ آيةَ حملِهم في الفلك المشحونِ تنبيهًا على عظيمِ نعمتِه وقُدرتِه سبحانَه؛ إذ حملَ الماءُ السّائلُ الرَّقيقُ الفلكَ المشحونَ الثَّقيلَ بما ينفعُ النّاسَ أعقبَه بذكرِ مثلِه ممّا يُركَبُ كالإبلِ وغيرِها التي تحملُ الأثقالَ بما ينفعُ النّاسَ، فقال تعالى: ﴿وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ﴾، وقال تعالى في وصفِ الإبلِ وغيرِها منَ المركوبِ: ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨﴾ [النحل: 7 - 8].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَرۡكَبُونَ﴾: (ركب) أصلٌ يدُلُّ على عُلوِّ شيءٍ شيئًا[2]، ومنه: (ركِبَ الدّابَّةَ)؛ أي: عَلا عليها، وكلُّ ما عُلِيَ فقد رُكِبَ وارتُكِبَ[3]، والرَّكوبُ - بفتح الرّاء -: المركوبُ، مثلُ الحَلوبُ، وهو (فعولٌ) بمعنى: (مفعولٍ)، فلذلك يُطابِقُ موصوفَه، يُقالُ: بعيرٌ ركوبٌ وناقةٌ حلوبةٌ، وجمعُه: (رَكبٌ، ورُكبانٌ، ورُكوبٌ)، والمُرادُ بالرُّكوبِ هنا: اعتلاءُ الدّابَّة للسَّيرِ، وأُطلقَ على الحُصولِ في الفُلكِ لتشبيهِهم الفُلكَ بالدّابَّةِ بجامعِ السَّيرِ[4].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 134.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ركب).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (ركب).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: 23/ 69، و25/ 173.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقولُ تعالى: وخلَقنا للعبادِ - ومنهم المُشركونَ المُكذِّبون - تفَضُّلًا منّا عليهم، من مثل الفُلكِ ما يركبونَه منَ المراكبِ، فيدخلُ فيه السُّفنُ والإبلُ التي خلقَها اللّه للرُّكوب في البَرِّ؛ فإنَّها سفائنُ البَرِّ لكثرةِ ما تحملُ وقلَّةِ كلالِها في المسيرة[1].

من نِعَم الله تعالى ما سخَّرَ للرُّكوبِ من كلِّ مركوبٍ

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

مُناسبةُ الوصلِ في الآيةِ الكريمةِ:

جاءت جملةُ: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ على طريقِ الوصلِ بالواو عطفًا على ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾؛ لتكونَ تتميمًا للآية الباهرةِ، وزيادةً في المِنَّة عليهم، فعُطِفَ الفعل ﴿وَخَلَقْنَا﴾ على ﴿حَمَلْنَا﴾، ليكونَ عطفًا على خبرِ (أنَّ) المصدريَّةِ، وتقديرُ الكلام: (وآيةٌ لهم أنّا حَمَلْنا ذُرّيَّتهم وخلَقْنا لهم).

اشتراكُ كلِّ ما يُركَبُ في الحملِ في الأسفارِ وتيسير المسارِ

وجاء الوصلُ بين الجملتَين بالواو؛ لاشتراكِهما في كونِ الجملتَين خبريَّتَين، وفي الجهة الجامعةِ من حيثُ اشتراكُ الفُلك والإبلِ وكلِّ ما يُركَبُ في البرِّ أو البحرِ في حملِهم في الأسفارِ وتيسيرِ حاجاتِهم فيها، ونظيرُ هذه المُشاركةِ قولُه تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الزخرف: 12].

وتحتملُ أن تكونَ جملةُ: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم﴾ مُعترضةً في خلالِ آيةِ البحرِ، فاصلةً بين مُتَّصلَين على طريقِ الاستطرادِ[2]، فتكونُ الواوُ استئنافيَّةً، ولا تخلو من رائحةِ التَّشريك في المعنى؛ أي: في مُراعاة النَّظير، وهي التَّذكير بنعمةِ خلقِ الإبلِ التي تُركبُ ويُحمَلُ عليها في الأسفارِ؛ لكمالِ التَّماثُلِ بينَ الإبلِ والفُلكِ، فكأنَّها نوعٌ منه، أو مع ما يركبونَ منَ السُّفنِ والزَّوارقِ[3].

كمالُ التَّشابهِ بين الإبلِ والفُلكِ ناسبَ التَّذكيرَ بنعمةِ خلقِ المِثل

(1) ابن جرير، جامع البيان: 20: 523، والبغوي، معالم التّنزيل: 4/ 15، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 269.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 285، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 169.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 28.

نكتةُ التَّعبير بلفظِ: ﴿وَخَلَقْنَا﴾:

التَّعبيرُ بلفظِ الخلقِ لعمومِ النَّفعِ، فليس كلُّ أحدٍ يركبُ السَّفينةَ

عبَّرَ بلفظِ الخلقِ في قولِه: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم﴾ وفي الآيةِ السّابقةِ عبَّرَ بـ﴿حَمَلْنَا﴾، للتَّنبيه على أمرَين، وكلاهما آيةٌ عظيمةٌ:

الأوَّلُ: أنَّه تعالى نبَّهَ في قولِه: ﴿حَمَلْنَا﴾ على آيةِ الإلهامِ في صُنعِ البشرِ السَّفينةَ التي عَمَّ نفعُها كلَّ البشرِ، فحُكيت آيةُ الإلهامِ بصُنعِ الفُلك من حيثُ الحكمةُ العظيمةُ في الإلهامِ وتسخيرِ البحرِ لها وإيجادِها في وقتِ الحاجةِ لحفظِ النَّوع، فلذلك لم يُؤتَ في جانبِها بفعلِ الخلقِ المُختصِّ بالإيجادِ دون صُنع النّاسِ[1].

والآخرُ: أنَّه تعالى نبَّهَ في قولِه: ﴿وَخَلَقْنَا﴾ على نعمةِ إيجادِ الإبلِ وكلِّ ما يركبونَه، التي هي من تمامِ آيةِ الحملِ في السَّفينةِ، ومن لطائفِ المُغايرةِ في الفعلِ ما يُفيدُه التَّعبيرُ بالخلقِ من نعمةِ العمومِ؛ للإشارةِ إلى أنَّه ليس كلُّ أحدٍ يركبُ الفُلكَ، ولهذا عبَّرَ بالحملِ، ولمّا عبَّرَ بالخلقِ الذي يكونُ عامًّا ذكرَ منَ المركوبِ ما يعُمُّ الخلقَ؛ أي: الإبلَ وما يجري مَجراها في قطعِ المسافاتِ وبُلوغِ الحاجاتِ، ويدخلُ فيه السُّفنُ كذلك، ولهذا جاء اللَّفظُ بصيغةِ العمومِ في قولِه: ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾.

فائدةُ اللّامِ في قوله: ﴿لَهُم﴾:

منَ الإنعامِ على النّاسِ انتفاعُهم بالرَّكائبِ على اختلافِها

اللّامُ في قولِه: ﴿لَهُم﴾ للاختصاصِ؛ إذ اختصَّ اللهُ تعالى البشرَ بخلقِ ما يركبونَه، وذلك لأجلِ انتفاعِهم الظّاهرِ منه، وهو المُناسبُ لسياقِ الإنعامِ وإظهارِ المنَّةِ.

دلالةُ الضَّمير في قوله: ﴿لَهُم﴾:

العمومُ المُستفادُ منَ منَّةِ الله على جميعِ العبادِ

يحتملُ الضَّميرُ في قولِه: ﴿لَهُم﴾ أن يكون عائدًا على أهلِ مكَّةَ ومَن يجري مَجراهم في الكفرِ والتَّكذيبِ، وإنكارِ الحشرِ يوم القيامةِ، ويدخلُ فيه كلُّ مَن ينتفعُ منَ المركوبِ لسَوقِه على جهةِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 28.

الإنعامِ وظُهورِ المنَّةِ، أو أن يكون عائدًا إلى العباد، ليُفيدَ عمومَ المنَّة كما هو الظّاهرُ، فيكونُ على نسَقِ الضَّميرِ، في قولِه: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا﴾ [يس: 33]، وقوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: 37]، فالأصلُ عَودُ الضَّمائرِ على شيءٍ واحدٍ.

فائدةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ:

السّياقُ مُناسبٌ لمقامِ إظهارِ النِّعمةِ

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ: ﴿لَهُم﴾ على المفعولِ به: ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾؛ للعنايةِ بالمُقدَّمِ والاهتمامِ به، واختصاصِ الخلقِ به؛ لأنَّ المقامَ مقامُ إظهارٍ للنِّعمةِ وتذكيرٍ بها.

فائدةُ ﴿مِّن﴾ في سياقِ الآيةِ:

تنوُّعُ التَّوجيه المُرادِ توسيعٌ للمعنى المُستَفادِ

﴿مِّن﴾ في قولِه: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ تحتملُ أن تكونَ للتَّبعيضِ بمعنى: خلَقْنا من بعضِ مثلِ السَّفينةِ ما يركبونَ، كالإبلِ التي هي سفنُ البرِّ، ويدخلُ في اللَّفظِ كلُّ مركوبٍ يُركبُ إلى يومِ القيامةِ، وتحتملُ أيضًا أن تكونَ لبيانِ الجنسِ بمعنى: خلَقْنا لهم من جنسِ سفينةِ نوحٍ ما يركبون؛ فإنَّ السَّفينةَ الّتي صنَعَها نوحٌ عليه السلام كانت بإلهامٍ منَ اللّه تعالى، فيكونُ خاصًّا بالسُّفنِ، وعلى هذا الوجهِ يكونُ تقديمُ البيانِ على المُبيَّنِ للاهتمامِ بالمُقدَّمِ ولرعايةِ الفاصلةِ في قوله: ﴿يَرْكَبُونَ﴾[1].

نكتةُ التَّعبيرِ بالمثلِ في السّياقِ:

المركوباتُ مُتماثلةٌ في مقصدِ الحملِ والتَّنقُّلِ

المِثلُ: هو المُشابهُ في الهيئةِ والحالةِ، واستعمالُ القرآن لفظَ (المثلِ) بعد كافِ التَّشبيه مألوفٌ بأنَّه يُرادُ به تشبيهُ الحالةِ بالحالةِ، وقد يكونُ الشَّيءُ مِثلًا لشيءٍ في جميعِ صفاتِه، وقد يكونُ مثلًا له في بعضِ صفاتِه، وقد يكون وجهُ المماثلةِ ظاهرًا فلا يُحتاجُ إلى بيانِه، وقد يكون خفيًّا فيُحتاجُ إلى بيانِه[2].

وعبَّر بالمثلِ في قوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ للتَّنبيه على عظيمِ نعمةِ ما

(1) ابن عطيَّة، المحرر الوجيز: 4/ 455، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 150.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/ 315، و2/ 398، و9/ 177.

يركبونَ، لمُماثلتِه للفُلكِ في العملِ والحملِ[1] وفي المقصدِ؛ أي: بالنَّقلِ من مكانٍ إلى مكانٍ بعيدٍ؛ أي: لِما في المركوبِ من قوّةِ الحملِ ومُداومةِ السَّيرِ، فبها يصِلونَ إلى قضاءِ حوائجِهم ومنافعِهم في الأمكنةِ النّائيةِ البعيدةِ.

دلالةُ الضَّمير في قولِه: ﴿مِّثْلِهِۦ﴾:

بيانُ عظيمِ النَّفعِ بتنويعِ وسائلِ الرُّكوبِ المُستعملةِ

الضَّميرُ عائدٌ إلى ﴿ٱلْفُلْكِ﴾ بما وُصِفَ به، والتَّقدير: وخلقنا لهم من مِثلِ الفُلكِ المشحونِ؛ للإشعارِ بعظيمِ النَّفعِ؛ لكثرة ما يركبون وما يحملون.

دلالةُ ﴿مَا﴾ في السّياقِ المُحكَمِ:

عمومُ الاسمِ الموصولِ استِغراقٌ لكلِّ مركوبٍ

لمّا كانت ﴿مَا﴾ في قولِه: ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ اسمًا موصولًا يُفيدُ العمومَ دلَّ على استغراقِ اللَّفظِ لكلِّ مركوبٍ، فيدخلُ فيه الإبلُ والسُّفنُ[2] دخولًا أوَّليًّا، فيكونُ هذا التَّوجيهُ جامعًا بين أقوالِ المُفسِّرين في بيانِ المُرادِ من قولِه: ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾.

وذهب ابنُ عاشورٍ إلى أنَّ ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ يتَناولُ الرَّواحلَ خاصَّةً؛ لأنَّها التي تُشبِهُ الفُلكَ في جَعْلِها قادرةً على قطعِ الرِّمالِ، كما جعَلَ الفُلكَ صالحًا لمَخْرِ البحارِ[3].

فائدةُ التَّعبيرِ بالموصولِ وصلتِه:

إحضارُ المقصودِ في ذهنِ السّامعينَ مُفيدٌ لإبرازِ البيانِ المُبين

عبَّر بالاسمِ الموصولِ وصلتِه في قولِه تعالى: ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾، ليظهرَ إحضارُ المقصودِ في ذِهنِ السّامعينَ، بوساطةِ ذكرِ جملةِ: ﴿يَرْكَبُونَ﴾ التي هي معلومةُ الانتسابِ إلى مُشارٍ إليه عند السّامعين.

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظِ: ﴿يَرْكَبُونَ﴾ دونَ: (يَحْمِلونَ):

خُصَّ الرُّكوبُ بالذِّكرِ في قولِه: ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾؛ لأنَّه أعمُّ المنافعِ؛

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 18/ 490.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 134.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 28.

من آياتِ الله تعالى حاجةُ النّاسِ باطِّرادٍ إلى الرُّكوبِ

إذ يحتاجُ الرُّكوبَ الصَّغيرُ والكبيرُ وفي جميع الأماكنِ والأزمانِ، ثمَّ إنَّ الرُّكوبَ قلَّما يخلو عن الحملِ، ولظُهور تعلُّقِ الخلق الذي هو بمعنى الإيجادِ بالمركوبِ لا بالحملِ، ثمَّ إنَّه لمّا كانت مُلابستُهم الفُلكَ والإبلَ باختيارِهم عبَّر عنه بالرُّكوبِ في حين عبَّر عن مُلابسةِ ذُرّيَّتهم بفُلكِ نوحٍ عليه السلام بالحَملِ دونَ الرُّكوبِ؛ لكونِ حملِهم في الفُلكِ بغير شعورٍ منهم واختيارٍ، ولذا لم يقُلْ: (وخلقنا لهم من مثلِه ما يحملون)[1].

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المُضارعِ:

الإنسانُ لا ينفَكُّ عن المركوبِ لبلوغِ المُبتَغَى المرغوبِ

آثرَ التَّعبيرَ في الآيةِ بصيغةِ المُضارعِ: ﴿يَرْكَبُونَ﴾؛ للإشعارِ باستمرارِ ركوبِهم على ذلك المركوبِ على سبيلِ التَّجدُّدِ ليقصِدوا منافعَهم ويبلُغوا حاجاتِهم[2]، ففيه إشارةٌ إلى أنَّ الإنسانَ لا ينفَكُّ عن المركوبِ لبلوغِ حاجاتِه.

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 150.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 134.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 47 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-731-00-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 47 : المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-731-00-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»